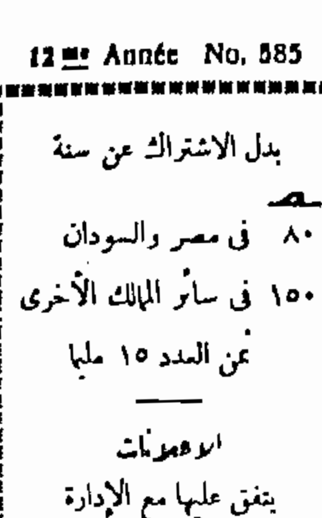
12 me Année No. 585 | Lundi - 18 - 9 - 1944





ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٥٨٥ « القاهرة فى يوم الإثنين أول شوال سنة ١٣٦٣ — الموافق ١٨ سبتمبر سنة ١٩٤٤ » السنة الثانية عشرة

الفهـــرس

الحروف اللاتينية

للأستاذ عباس محمود العقاد

علم القراء أن صاحب المعالى الأستاذ العلامة عبد العزيز فهمى باشا قد اقترح على مجمع فؤاد الأول للغة العربية اقتباس الحروف اللاتينية وبعض الحروف الشابهة لها لتيسير الكتابة العربية

وقد خالفه كثيرون ، وعاود معاليه الكرة للرد على هؤلاء المخالفين ، ومنهم كاتب هذه السطور

وكنت قد خالفت رأى معاليه لأن اقتراحه يترك الصعوبة الأصيلة قائمة ويعنى بالصعوبة المتفرعة عليها ، وهى تابعة لها باقية ببقائها

فلا صعوبة عندنا فى كتابة حرف من الحروف مضموماً كان أو مفتوحاً أو مكسوراً إذا عرفنا أنه مضموم أو مفتوح أو مكسور ، ولا صعوبة كذلك فى قراءته مع هذه المعرفة سواء أكان مشكولاً أم غير مشكول

إنما الصعوبة الأصيلة أن نعرف ما يضم وما يفتح وما يكسر ، ثم نكتبه ونقرأه على صواب

وترجع هذه الصعوبة إلى خواص فى بنية اللغة العربية لا وجود لها فى اللغات التى تكتب بالحروف اللاتينية ، غربية كانت أو شرقية

ومن هذه الخواص الفعل الثلاثي واختلاف أبوابه وارتباط ذلك بالمصادر والمشتقات ، ولا وجود لهذا الفعل الثلاثي في غير اللغات السامية ، وعلى رأسها لغتنا العربية

ومنها الإعراب ، وهو على وجود القليل منه فى لغات نادرة ، قد اختصت اللغة العربية بأحكام مستفيضة فيه ، لا نظير لها فى جميع اللغات

ومنها أن حروف الحركة فى بعض اللغات الشرقية التى تكتب الآن بالحروف اللاتينية قلما تفيد معنى من المعاني غير إشباع الحركة أو خطفها والإسراع فيها ، ولكنها فى اللغة العربية تبدل معنى الكلمة أو تبدل قوة المعنى

فقراءة العربية قراءة مضبوطة لا تتأتى بغير تصحيح العلم بهذه القواعد قبل كتابتها وقراءتها ، وسبيل ذلك أن تختصر القواعد النحوية والصرفية حتى يحيط أوساط الناس بالقدر الكافى منها لمقاربة الصواب جهد المستطاع

ونقول مقاربة الصواب لأن العصمة من الخطأ لن تتيسر فى اللغة العربية ولا فى غيرها من اللغات ، ولن تتيسر أبداً فى عمل يتناوله جميع الناس من خاصة وعامة

أما الكتابة بالحروف اللاتينية فإن صح أنها تضمن للقارئ أن يقرأ ما أمامه على صورة واحدة فهى لا تمنع الكتاب المختلفين أن يكتبوا الكلمة على صور مختلفة كلها خطأ وخروج على القواعد اللغوية ، ومن هنا يشيع التبلبل فى الألسنة ويتقرر الخطأ بتسجيله فى الكتابة والطباعة بدلاً من تركه محتملاً للقراءة على الوجه الصحيح . ولا شك أن الخطأ فى النطق أهون ضرراً من الخطأ المكتوب أو المطبوع ، لأن كتابة الخطأ تبقى خطأ النطق وتزيد عليه أنها تسجله وتضلل من عسى أن يهتدى إلى الصواب

فقصارى ما نغنمه بهذا التبديل ، أننا ننقل التبعة من القارئ إلى الكاتب ولا نمنع الخطأ ولا نضمن الصحة ، وهى فائدة لا يبلغ من شأنها أن تبدل معالم اللغة وتفصل ما بين قديمها وحديثها

وكان من أسباب مخالفتى لاقتراح الأستاذ العلامة — وهى كثيرة — أن طريقته ليست بأيسر من طريقتنا التى نجرى عليها الآن فى كتابة الكلمات العربية مضبوطة بعلامات الشكل المصطلح عليها ، فى موضع الحاجة إليها

لأن الطريقة اللاتينية المضاف إليها بعض الحروف العربية تغنينا من علامات الشكل ، ولكنها تضطرنا إلى زيادة الحروف حتى تبلغ ضعفها أو أكثر من ضعفها فى كلمات كثيرة ، وتوجب هذه الكلفة على العارفين وهم غنيون عنها .

ثم هى لا تغنينا بتة عن النقط والشكل ، لأنها تعود بنا إلى النقط فى حروف ، وإلى ما يشبه الشكل فى بعض الحروف لتمييز الألف والثاء والدال والشين

على أن الأمم الأصيلة فى الكتابة اللاتينية لا تستغنى بالرسم عن ضبط السماع

فاللغة الإنجليزية التى أستطيع الإتيان بالشواهد منها حافلة بالكلمات التى يختلف نطقها ورسمها ، والتى تنطق على وجه وتكتب على وجوه ، كما أنها حافلة بالشواذ فى صيغة الماضى والمفعول ومشتقات أخرى

ومن أمثلة الصعوبات فى الرسم أنهم ينطقون هذه الكلمات نطقاً واحداً وهى مختلفة فى الكتابة والمعنى والاشتقاق ، وهى Rite و Right و write وأنهم يكتبون حروف الحركة أحياناً على نمط واحد ويخالفون بين النطق بها فى درجة المد وفى مخارج الصوت ، كما يفعلون على سبيل التمثيل فى sour و loud و soup أو فى great و breadth و speak أو فى done و bone أو فى door و moon و good

ومن حروف الإنجليزية ما يكتب ولا ينطق به مثل الباء فى climb والكاف فى knot ومنها ما يهمل حيناً وينطق حيناً بخلاف حرفه مثل daughter و laughter

إلى غير ذلك مما تدل عليه هذه الأمثلة ولا تحصيه ، ويكفى أن نرجع إلى المعجمات التى وضعت لأهل اللغة أنفسهم لنعلم أنهم لا يستغنون عن اتباع كل كلمة بما يضبط نطقها ودرجة امتداد الحركات فيها وموقع النبرة فى مقاطعها

* * *

وقد رأينا أن نكتفى فى مناقشة اقتراح اللاتينية بالأقوى والأظهر من الأسباب دون أن نذهب فيها إلى الاستقصاء

والاستيعاب ، وإلا فالأسباب التى تحول دون رسم العربية بالحروف اللاتينية أكثر من هذا الذى أجملناه بكثير

وتناول معالى المقترح اعتراضنا فقال بعد تلخيصه :

« إنه على كل حال اعتراف خارج عن الموضوع . وما أشبهنا ، إزاءه ، بالباحثين عن طرفى الحلقة المفرغة تقوم الساعة علينا قبل أن نهتدى إلى المطلوب ! إن مسألة البحث فى أصول اللغة وتيسير قواعد نحوها وصرفها تلك التى يقول المعترضون إنها هى العلاج الشافى لأدواء العربية هى مسألة أخرى قائمة بذاتها ، وهى مطروحة فعلاً على المجمع اللغوى يردد مداخلها ومخارجها ، ويحاول ما وسعت قدرته تمهيد ما يقبل منها التمهيد »

ثم قال معاليه إن لائحة المجمع تجب اعتراضنا ، ورد معاليه عليه لأن : « نصها صريح فى أن عليه البحث فى تيسير رسم الكتابة العربية ، ووزير المعارف عهد إليه بهذه المهمة بقرار منه خاص ، وهو مكلف نظامياً بتنفيذ قرارات الوزير »

وعندنا أن رد معاليه على هـذا الاعتراض هو أشبه شىء بالدفوع القضائية منه بالدفوع المنطقية

فالحق أن تيسـير القواعد اللغوية مسألة غير مسألة الرسم وكتابة الحروف ، ولكن اختلافهما لا يمنع العلاقة الوثيقة بينهما ولا يخرجهما عن حكم القضيتين اللتين لا تنظر إحداهما بمعزل عن الأخرى

وكذلك على المجمع بموجب تكوينه أن يبحث فى تيسـير رسم الكتابة كما عهد إليه

ولكن هذا الوجوب لن يوجب عليه أن يرحب بكل تغيير أو يدين بأن التغيير أسهل من الطريقة التى نحن عليها الآن

فتيسير الرسم العربى واجب لا شك فيه ، ورفض الرسم اللاتينى كذلك واجب لا شك فيه للأسباب التى قدمناها ، وأولها أنه يبدل معالمنا دون أن يخرجنا من تلك الصعوبة التى تدعونا إلى التبديل

وقد نظر المجمع فى عشرات من المقترحات التى تقدم بها أعضاؤه أو تلقاها من الفضلاء المجتهدين فى حل هذه المعضلة العسيرة

فإذا قال قائل إن الرسم الحاضر أيسر من جميع هـذه المقترحات ، لأنه فى الواقع أيسر منها . فاللائحة لا تفرض عليه أن يخالف الحقيقة ويقول : بل هى جميعاً أيسر من الرسم الذى نجرى عليه .

ولكل لغة صعوباتها التى لا يتساوى الناس فى تذليلها ولو زالت صعوبات الرسم والكتابة جماء

فلابد من فارق فى اللغة بين المتعلم وغير المتعلم وبين الموهوب وغير الموهوب وبين صاحب السليقة والدخيل عليها

وليست لغتنا العربية بدعاً بين اللغات فى هـذه الخاصة العامة . . . فمهما نصنع فى تيسير رسمها أو قواعدها فلن نسوى بين الناس فى كتابتها وقراءتها ، ولن نغنى الكاتب أو القارئ عن المزيد من الاستيفاء كلما ارتفع درجة أو درجات فى مراتب الفهم والشعور والتعبير

ولهذا ينبغى أن نيسر كتابتها بتيسير معرفتها وتيسير فهمها مع التسليم طوعاً أو كرهاً بأن هذا التيسير لن يدفع كل عسر ، ولن يزيل كل لبس ، ولن يعصم من الخطأ كل العصمة ، ولن يزال الباب بعده مفتوحا للتفاوت بين قدرة الناس على الصواب واستعدادهم للخطأ من جهل أو سهو أو قصور

وإذا قيل أى العلاجين أدنى إلى تيسير الكتابة ؟ فلا شك أن العلم التقريبى بالقواعد التى تقيم النطق خير من الرسم الذى يقرأ على صـورة واحدة مع بقاء صور متعددة للكلمة تختلف باختلاف حظوظ الكتاب من قواعد الصرف والنحو والإملاء والهجاء ، وهـذا إن صح أن الحروف اللاتينية تضمن القراءة على صورة واحدة وهو غير صحيح ، لأن جرس الحروف اللاتينية يخالف جرس الحروف العربية فى المخارج والحركات وتوقيت الكلمة فى أثناء نطقها ، وهو شىء فى صميم اللغة كالمعنى ورسم الكتابة على السواء

وأسلم ما يقال فى هذا الباب إن الطريقة القائمة لا تزال أسهل وأقرب إلى بنية اللغة من كل مقترح علمنا به ، ولا مانع من جديد يستدرك ما عن استدراكه إلى الآن .

عباس محمود العقاد

حرية الفكر أيضاً . . .

للأستاذ دريني خشبة

ينصب بعض السادة الكتاب من أنفسهم أبطالا للدفاع عن حرية الفكر ، ويعد بعضهم أنفسهم شهداء لهـذه الحرية المكبوتة في زعمهم ، المضيّق عليها تضييقاً يذهب صديقنا الدكتور زكي مبارك إلى أنه لم يسبق أن حدث مثـله في الأمم الإسلامية قط

وندع الآن ما ذهب إليه الصديق الكريم من هذه الدعوى ، لنلفت أنظار القراء إلى شيء ظريف جداً يصـدر عن أولئك الأبطال الكرام ، عن قصد ظريف جداً كذلك

وليس هـذا الشيء الظريف الذي نلفت إليه أنظار القراء الآن شيئاً ظريفاً واحداً ، ولـكنه أشياء ظريفة يأخذ بعضها برقاب بعض . فتكون آخر الأمر موضوع هذا الشيء الظريف

عندما تناولنا موضوع كتاب الأستاذ الرصافي . وقفنا منه إزاء كتاب يتناول ديننا كله ، ومعتقداتنا جميعها ، فيتأولها تأويلا لا يجوز إلا في عقل مدخول ... فالـهنا — في زعمه — هو هذا العالم الذي تعرف من العلم الحديث كيف نشأ ... ونبينا ، هو أول مبتدع لهذا الهراء ، كما إنه مؤلف القرآن وقائله . ونظرية وحدة الوجود تلك التي ابتدعها محمد هي أرقى ما وصلت إليه الفلسفة الإسلامية ، والإيمان بها ينافي الإيمان بمـا جاء به الرسول الكريم من خلق الله لهذا العالم ، والدعوة إلى عبادته ودعائه والإخبات له ، وما قال به من نشـور وحساب وثواب وعقاب وجنة ونار ... ثم تساوى الخير والشر والضلال والهدى والتقى والفسوق والأبيض والأسود ... والسجود بين يدى الله والإكباب على الحليلة ... أمام الله كما زعم الرصافي في رده علينا ... استناداً إلى زعم الجنيد ، أنه سبحانه ، هو الهادى وهو المضل ، وما دام الله كذلك فلا يكون ثمة معنى للحساب والثواب والعقاب والجنة والنار على نحو ما يؤمن بذلك المسلمون كافة ... ذلك الإيمان الساذج الفطرى الذي لا يسيغه عقل ... لأن العقل لا يسيغ أنباء الغيب ولا يهضمها ...

ولما كان الرصافي — هداه الله — ينتمي إلى المسلمين ، وقد لنا هذا اللغو الذي كان يلغو به من قديم ، فقد وقفنا منه وقفتنا التي يحتمها علينا ديننا ، لأن دعواه تقلب هذا الدين بجميع عقائده رأساً على عقب . . . وما ظنك بدعوى تنسخ العبادات نسخاً لا يجعل لها ضرورة ، لأنها لن تغير مما قضى الله من شيء ، ثم ما ظنك بدعوى تجعل الله مأكولا مشروبا منظوراً مشموماً تدركه الحواس كلها . . . لأنه الوجود كله . . . ثم الرصافي يزعم أن هـذا هو حقيقة الإسلام ، أما ما يؤمن به السذّج البسطاء أمثالنا ، فهو ظاهر الإسلام ، أورده الرسول الكريم على سبيل التمثيل ، ومن باب مخاطبة الناس على قدر عقولهم ، ثم أخفى عليهم تلك الحقيقة الخافية فلم يطلع عليها إلا أبا بكر ، حتى جاء فلاسفة الإسلام الأعلام — الحلاج والجنيد وابن عربى والجيلاني والتلمساني وابن سبعين ومن لف لفهم ، فوقعوا عليها وكشفوا سرها وجلوها للعالمين

فلما نفينا أن يكون هذا إسلاماً ، وإسلاماً جاء به فخر الكائنات محمد بن عبد الله ، وأثبتنا للأستاذ الرصافي أن اليونانيين عرفوا وحدة الوجود قبل نبينا بألف سنة أو نحوها أو أكثر منها — وإن زعم هو أننا لم نأت بجديد — تفضل بعض مفكرينا المحتوبين من غير المسلمين بالاشتراك في هذا الموضوع ، على أنه موضوع عام يحل لكل إنسان أن يشارك فيه برأى ... ولم يبالوا في سياق كلامهم أن يعلنوا على صفحات الرسالة أنهم لا يؤمنون إلا بالمادة ... أما ما وراء الطبيعة فلا شأن لهم به ... فرحبنا بمشاركتهم ، ولما آنسنا أنهم لم يفطنوا إلى أن الموضوع يبحث من وجهة نظر إسلامية خالصة ، نبهناهم إلى ذلك بأرق عبارات الذوق الذي دعا إليه الأنبياء يا صديقى الدكتور زكى ... لكنهم كتبوا ما لحنا في ثناياه أنهم غاضبون أو شبه غاضبين ، فلم يشق علينا أن نعلن لهم أسفنا ، ولم نناقش الآراء التي أعلنوها لحرصنا على أن يظل الموضوع محصوراً في أفقه الإسلامي ، ولأننا كما أعلنا غير مرة ، غير قوامين على حرية الفكر في مصر ولا في غيرها من بلاد الله ... فليعتقد من يشاء ما يشاء ، بشرط ألا يجعل عقيدته دعوة يدعو إليها ويجهر في كتب ينشرها بأنها هي الحق ، وأن ما نؤمن به هو الباطل ... وبشرط ألا يفترى على الله وعلى رسوله إفكا ينزههما المسلمون عنه ... فإن فعل ذلك ، وكان من انتسابه إلى المسلمين ما نعلم ، فماذا ينكر منا أفاضل

العلماء الذين لا يؤمنون إلا بالمادة حين نقول لهذا القائل إنه ملحد، وإنه زنديق؟! وقد قال هو إن إلهنا هو هذا الوجود المأكول المشروب المنظور المشموم الذى تدركه الحواس كلها، وإن نبينا هو هذا الرجل الذى ألف القرآن. وزعم — غير قاصد شراً! — أن الله هو قائله وموحيه، لأنه كان أول من عرف سر وحدة الوجود؟! فإن لم نسم هذا الرجل ملحداً زنديقاً... فماذا يكون يا ترى؟ أيكون سيد العارفين بالله الذى نؤمن به؟ وهل من حرية الفكر أن يقول ذلك رجل ينتسب إلى المسلمين، فإن رد عليه رجل من المسلمين وسمي قوله هذا إلحاداً وزندقة، صاح حضرات الأفاضل العلماء الأعلام الذين لا يؤمنون إلا بالمادة، وينكرون ما وراءها: لقد خنقت حرية الفكر فى مصر وفى الشرق، ثم هتفوا بالعلماء الأحرار فى مصر وفى الشرق أن يقنتوا وأن يرعووا، وألا يصرحوا بالحق الذى يؤمنون به فى هذه البيئة المؤمنة الساذجة المتزمتة، حتى لا يرموا بالإلحاد والزندقة!

هنا واحد من هذه الأشياء الظريفة التى وددت أن ألفت إليها أنظار القراء!

فهؤلاء العلماء الأعلام الذين لا يؤمنون إلا بالمادة يريدون أن يثبتوا فى أذهانكم يا قراءنا العوام السذج المؤمنين أمثالنا أنهم على حق فيما يذهبون إليه بشأن هذا الوجود، وأننا على باطل... لأن الوجود قديم، ولم يخلقه إلـه قادر مستقل عنه كما يفهم بسطاء المسلمين والمسيحيين واليهود وأهل كل ملة ممن ليسوا علماء أعلاماً أمثالهم، لأنهم لم يدرسوا فلكاً ولا منطقاً ولا علم طبقات الأرض ولا فيزيقا ولا كيمياء ولا فلسفة، ولا هذا الثبت الطويل من العلوم التى أعشى فى دراستها علماء المسلمين الأعلام أبصارهم، ولم تضل مع ذلك بصائرهم

بهذه الطريقة يريد هؤلاء العلماء أن يثبتوا فى أذهانكم أنهم على حق، لأنهم ينطقون بلسان العلم الذى لا يضل، أما مناظروهم فينطقون بلسان هذا الحشد الحاشد من الأساطير الدينية، التى هى من أنباء الغيب، فليس لعقل رأى فيها!

أليس ذلك شيئاً ظريفاً جديراً بلفت أنظار القراء إليه؟!

ومما يلحق بهذا الشيء الظريف تصريحهم، ليوهموا القراء كذلك، أننا نظلم الحق، حينما نقحم الدين فى الفلسفة... وليفطن قراؤنا العوام السذج إلى المعنى المسموم الذى تحمله هذه العبارة! الحق يظلم إذا أقحم الدين فى الفلسفة، لأن الفلسفة وحدها هى التى تعرف الحق وتعرف كيف تصل إليه! أما الدين فلا شأن له بالحق... لأن العقل لا يستطيع أن يمله! ولماذا هذا اللف كله؟ لأن الدين يقول بأن الله هو الذى خلق العالم... وهذا قول سهل هيّن ليّن... لم تحسن الفلسفة أن تقول مثله إلى اليوم! لكن الفلسفة مع عجزها أن تقول مثل هذا القول، تزعم أنه قول غير معقول، والمعقول عندها أن يكون العالم قديماً لا خالق له، أو أن يكون الله هو هذا العالم... أو الوجود الكلى المطلق! وتحار الفلسفة بعد ذلك كيف يكون هذا العالم إلهاً. وكيف يكون هذا العالم بعجره وبجره عاقلاً إن كان عاقلاً يا ترى؟! وكيف تم له هذا الإحكام البديع فى كل شيء؟ فى الأفلاك والعدم والضوء والحرارة والكهرباء والمغناطيس والغازات. والحياة المعقدة فى الحيوان والنبات، وفى الحركة، وفى السكون. والمعقول عند الفلسفة أن يكون كل شيء خاضعاً لقوانين الجبر الصارمة، وإذا كان ذلك كذلك فما معنى أن يرسل الله — الذى هو الوجود الكلى المطلق — رسلاً ويتخذ أنبياء؟ هل تستطيع الرسل تبديل شيء أو تغييره؟ إن أمر الرسل إذن عبث فى عبث. والرسل — أضل الله الفلسفة — كذابون أدعياء، أو على الأقل، رجال مخدوعون شُبِّه لهم أنهم ينطقون بلسان الله، الذى هو الوجود المطلق الكلى!

هذا هو بعض الهذيان الذى تريد الفلسفة أن تدسه فى روع المؤمنين من القراء البسطاء الذين يؤمنون بأن الله خلقهم، فتحاول الفلسفة إيهامهم أن العلم لا يسيغ هذا ولا يهضمه، وإن كان يسيغ الشكوك والوساوس ويهضمها!

أفليس ذلك شيئاً ظريفاً جديراً بلفت أنظار القراء إليه؟!

وشيء ظريف آخر يستملح (!) لفت الأنظار إليه... ذلك أن هؤلاء العلماء الأعلام يلحون على أذهان القراء بتذكيرها دائماً أنهم علماء. فهل يقصدون من وراء ذلك شيئاً، غير أن مناظريهم فى موضوع وحدة الوجود هم من الأميين الذين يحكّمون فى موضوع هام كهذا عواطفهم، ولا يحكمون عقولهم، إن كانت لهم عقول! وأن هؤلاء المناظرين قوم متدينون

والتدين في هذا العصر شيء عتيق يثير الضحك ويدعو إلى السخرية . وأهل التدين في غالب أمرهم قوم شذاذ الأفهام لم يدرسوا فلسفة ولم ينشدوا علماً . فكيف يا أيها القراء النجب تنخدعون بأقوالهم وتتساقون إلى الأخذ بآرائهم ؟ إن خليقاً بكم ألا تصيخوا إلى كاتب يحسب نفسه واعظاً في مسجد أو راعياً في كنيسة ، ولا أقصد أن أغمز صديقي الدكتور زكي بإيراد عبارته تلك ...

أفليس ذلك شيئاً ظريفاً من مناظرينا الأفاضل ، أن يقفونا تلقاءهم ذلك الموقف المضحك الذي لن يجوز باطله على أحد !

يتحدثون عن حرية الفكر . فماذا أصابهم من ضروب التضييق يا ترى ؟ !

لينتظروا . فسنحدثهم عن حرية الفكر وما لقي إخوانهم الذين سبقوهم إلى القول بوحدة الوجود من ضروب الهوان

ما أكثر الأشياء الظريفة التي كان ينبغي أن نلفت إليها أنظار القراء لولا ضيق المقام !

(للحديث بقية) دريني خشبة

على هامش النقد :

١ ـ في عالم القصة

بنت الشيطان ... ... محمود تيمور

للأستاذ سيد قطب

ليست هذه هي المرة الأولى التي أهم فيها بالكتابة عن « تيمور » ثم أوثر التريث ، لأراجعه مرة أخرى

إنه ليصعب عليك ـ وأنت تتحدث عن القصة ـ أن تغفل عمل تيمور . ولكن يصعب عليك أيضاً أن تقرر مكانه ، وأنت مستريح الضمير

رجل كالمويلحي ـ صاحب حديث عيسى بن هشام ـ لا يجد الناقد مشقة في تعيين مكانه . مكان « القنطرة » التي تعبر عليها القصة العربية من المقامة اللغوية ، إلى القصة الفنية

ورجل كتوفيق الحكيم ، لا يجد الناقد مشقة في تعيين مكانه . مكان « الفنان » ، الذي يجعل القصة والرواية ، فصلاً من فصول الأدب العربي ، يقف في صف واحد مع بقية فصوله ، التي كانت من قبل مقررة ، والتي لم يكن الأدب العربي يعترف بغيرها من الفصول . يتفق الجميع على هذا من ناحية المبدأ ، ثم يختلفون في تقويم عمله بعد ذلك كما يشاءون

وقد لا يكون الإنسان ـ في عالم القصة ـ قنطرة كالمويلحي ، ولا مقرراً لفصل جديد في كتاب الأدب العربي كتوفيق الحكيم ؛ ثم يكون له بعد ذلك مكانه المعلوم

فالمازني مثلاً قد اشتغل بالقصة الطويلة كإبراهيم الأول وإبراهيم الثاني ، وثلاثة رجال وامرأة ، وعود على بدء ، وبالقصة القصيرة كقصصه الكثيرة في خيوط العنكبوت ، وصندوق الدنيا وسواها . ومكانه في هذه القصص وفي سواها هو مكان « الأديب » الذي يستفيد مما يقرأ أعظم الفائدة ، ويتأثر به فيما يكتب كل التأثر . ولكنه يطبع الجميع بطابع خاص متميز

والمازني ـ بهذه الصفة ـ يمكن أن يعد قنطرة لنوع من القصة « الواقعية الشاعرية ! » قنطرة لأصحاب المواهب الخالقة ، يتأثرون طريقته الجيدة ، ويبدعون من ذات أنفسهم بلا اعتماد على أصل يلهمهم

وهناك شبان يحاولون ، لم يتقرر لهم بعد مكان ، فبينهم وبين تقرير مذاهبهم في عالم القصة خطوات وتجارب وتعديلات .

من كتاب القصة القصيرة الأستاذ « يوسف جوهر » ـ وهو ينسج على منوال جي دي موباسان ـ في حرارته وشاعريته ، ولكن « جسم القصة » عنده ما يزال بعد ضئيلاً ، وما يزال مكرراً ، وكثيراً ما يحس القارئ بعد نهاية القصة أن حرارتها البراقة قد خدعته ، وأنه لم يخرج منها بشيء كبير ، لا من ناحية الموضوع ، ولا من ناحية اللمسات الفنية في العرض ، ولا من ناحية الرصيد الإنساني الذي هو أثمن ما في العمل الفني

ومنهم الأستاذ « صلاح ذهني » ـ وهو لا يزال يقبس من طرائق مختلفة ، وله توفيقاته في أحيان كثيرة . ولكن ينقصه التركز ، كما ينقصه روح الإبداع الذي يرفع القصة من الحادثة اليومية إلى المجال الإنساني . وقصصه في حاجة كذلك إلى الحرارة التي تشعرنا أنه يحس بما يكتب ، وليس متفرجاً عابراً يصف الحوادث

ومن كتاب القصة الطويلة الأستاذ « باكثير » وقصصه ـ لها طلاوتها والحياة واضحة فيها ـ ولكن لا يزال ينقصها تمكن الروح القصصية ، التي تنسي القارئ أن هذه قصة

وتخيّل له أنها قطعة من الحياة تقع الآن . وليس مرد هذا إلى نقص الحياة ، ولكن إلى نقص الروح القصصية ، فهو ما يفتأ بين حين وحين ينبه القارئ إلى أنه يقص عليه ، ولا يدعه يستغرق في القصة وينساه !

ومنهم الأستاذ نجيب محفوظ والأستاذ عادل كامل ، وكلاهما يخطو الخطوات الأولى ؛ ولكنها — فيما يبدو — خطوات ثابتة وثيقة . تكفي لإثبات وجودها في عالم القصة ، وإن لم تثبت لها بعد مذهباً مقرراً ينسج غيرهما على منواله ؛ إلا أن هذا لا ينفي أنهما في الطليعة — على تفاوت بينهما — في طليعة كتاب القصة الشبان بلا جدال

وهكذا نجد لكل من يشتغل بالقصة في مصر مكانه المعلوم في هذا العالم . فأين نضع « تيمور » بين هؤلاء ؟

لا هو القنطرة بين طور من أطوار القصة وطور كالمويلحي ، ولا هو القنطرة بين التأثر والابتداع — مع وضوح الذاتية الشخصية والطابع المميز — كالمازني . ولا هو الناشىء الذي لم يزل أمامه المجال منفسحاً للتمكن والكمال

* * *

وهذا كله من ناحية الشكل . فأما من ناحية المذهب والطريقة ، فالحيرة كذلك واقعة

رجل كالمويلحي قصاص واقعي بالمعنى الضيق للواقعية . وهو مع ذلك قد استطاع أن يرسم عدة شخصيات إنسانية للعصر الذي كتب فيه القصة ؛ وأن يصور البيئة التي عاشت فيها هذه الشخصيات المحلية : الباشا ، والعمدة ، والمحامي ، والنائب ، والمشايخ ، وغيرهم من الشخصيات التي رسمها في حديث عيسى ابن هشام . وهم آدميون لا تشك في آدميتهم ، وواقعيون — بالمعنى الضيق — لا ترتاب في واقعيتهم ؛ مع شيء من السخرية والدعابة ، تحسبان لهذا القصاص في عالم الفنون

ورجل كتوفيق الحكيم ، قد تقرر مذهبه — إلى اليوم على الأقل — فهو في التمثيلية « الفنان » الخالق الذي يبدع شخوصه من « ذهنه » ليؤدوا له فكرة فلسفية خاصة . وهم — على هذا الوضع — أشخاص صحاح منطقيون مع طبيعتهم ، مستقيمون من أول التمثيلية إلى آخرها مع الفكرة التي خلقوا ليؤدوها . كما في أهل الكهف ، وشهرزاد ، وبيجماليون ، وسليمان الحكيم . أما في القصة فهو ينحرف عن هذا المذهب إلى شيء من « الواقعية »

الممزوجة بالشاعرية ، حتى لتقرب من الرومانتيكية في بعض الأحيان . كما في عودة الروح ، وعصفور من الشرق ، ويوميات نائب في الأرياف ، وزهرة العمر — وإن ظلت هذه الواقعية موسومة بميسم « الفكر » لأن هذه هي السمة الغالبة على طبيعته — ولكن قصصه ورواياته تستمد دائماً من « التنسيق الفني » والإشعاع الشاعري ، ما تعوض به الحياة الحقيقية . وما يتيح لها أن تنشئ مدرسة معروفة السمات

ورجل كالمازني يمثل « الأديب » الذي يفيض على شخوص قصصه حركة حية سريعة ، في حماسة شاعرية قوية ، كما في إبراهيم الكاتب وإبراهيم الثاني قصتيه الأساسيتين ، أو يفيض عليها الحركة في دعابة ساخرة كما في القصص القصيرة

ومهما قيل من تأثر المازني لبعض كتاب القصة الغربيين ، واقتباسه من طرائقهم وموضوعاتهم كذلك . فالذي يبقى له بعد هذا كله ليس بالقليل . إنه يتأثر ويقتبس في اتجاه واحد ، وبطريقة واحدة ، يبدو فيها طابع خاص ، هو دليل الشخصية الفنية ...

وقد لا يكون المازني خالقاً ولا مبتدعاً لموضوعاته وطرائقه ، ولكن هذا لا ينفي أن له طابعه الشخصي في كل ما يكتبه . هذا الطابع هو الحركة السريعة ، والانتباه إلى دقائق الانفعالات النفسية ، وإبراز الاستجابات التي يمر عليها الكثيرون غافلين . مع تأثره بكشوف علم النفس الحديث ولا سيما في مجال « التحليل النفسي » هذا التأثر الذي قد يطغى على العمل الفني في بعض الأحيان ، كما في « ثلاثة رجال وامرأة »

فما مذهب تيمور تجاه هذه المذاهب أو سواها في القصة ؟

يعسر عليك أن تسلكه في الواقعية الضيقة التي يمثلها عيسى ابن هشام . إذ أن فيه قسطاً من الشاعرية والتلوين الفني . ويعسر عليك أن تسلكه في « الواقعية الشاعرية ! » التي يمثلها للمازني ، لأن الحركة في فنه وئيدة ، والألوان النفسية باهتة ، والشخصية الإنسانية لا تتصرف تصرف الأحياء . ويعسر عليك أن تسلكه في « الفنية الرمزية » التي يمثلها توفيق الحكيم لأن الفكرة الفلسفية والمعاني الرمزية لا تبرزان في أعماله

فتيمور لا هو الذي يرسم شخصيات محلية كالمويلحي ، ولا هو الذي يصور نفوساً آدمية كالمازني ، ولا هو الذي يخلق

شخوصاً فنية كتوفيق الحكيم . ولا هو مع ذلك كله القصصي الناشيء الذي تستطيع أن تدعه إلى التركز والنضوج !

وقد كتب بعضهم يقول : إنه يلتفت إلى « العقل الباطن » في سيرة أبطاله وتصرفاتهم ويستخدم كشوف « التحليل النفسي » كما في قنابل وأبو شوشة والموكب

وكتب بعضهم يقول : إنه يرسم « نماذج بشرية » كما في نداء المجهول وسهاد

وهذا وذلك حق من حيث هو نية وقصد . ولكن ما أثره في العمل الفني . إن قيمة القصة لا تقوم على أساس أن القصاص ينتفع بالمباحث العلمية . فهذا قد يفسدها في بعض الأحيان . ولا على أساس أنه يحاول رسم « نماذج بشرية » فالمهم هو صدق هذه النماذج وحيويتها

وتيمور وفق في بعض الأحيان في هـذا الغرض أو ذاك ، ولكن هذا التوفيق لم يكن في تلك المواضع التي عينوها

فمن أظهر الالتفاتات إلى « العقل الباطن » السليمة من التكلف والاصطناع والتي لم تؤثر على التنسيق الفني للقصة ، التفاتاته في : « زمان الهنا » و « غانية الحانة » و « انقلاب » في مجموعة « فرعون الصغير » . ومن أظهر النماذج البشرية : السائحة الأمريكية في قصة « فرعون الصغير » و « رجل رهيب » في هذه المجموعة أيضاً . ومن الغريب أن تكون هذه المجموعة قد صدرت سنة ١٩٣٩ . بينما المجموعة الأخرى : « بنت الشيطان » وقد صدرت سنة ١٩٤٤ تتخلف عنها كثيراً في مميزاتها الفنية

ولكن أي تحليل نفسي . وأية نماذج بشرية ؟ لطالما خيل إليّ وأنا أجول بين شخوص تيمور أنني في « متحف الشمع » فتماثيل الشمع هي التي تمثل هذه الشخوص أوضح التمثيل : فلا هي التماثيل الفنية يتصرف فيها الفن كما يشاء ليؤدي فكرة فنية أو ليمثل لمحة نفسية . ولا هي الأجسام الحية التي تجري فيها دماء الحياة ، فتتصرف تصرف الأحياء . إنها محاكاة للطبيعة وفيها قسط من الفن في الدقة والتلوين ، ولكنها ليست بعد من الأحياء !

وكثيراً ما يعجزك وأنت تتأمل شخوص تيمور وتصرفاتهم وطريقة حديثهم أن تردهم إلى أي جنس من أجناس الآدميين في أي زمان أو مكان . وقد يسير بعضهم في مبدأ الأمر سيرة طبيعية حتى لتكاد تقول : هذا مخلوق حي . ولكن ما تلبث أن يخالف أملك بحركة تكشف لك أن ما أمامك إنما هو تمثال من الشمع ، يحركه المؤلف حركة خاصة ، لأنه توهم – من التحليل النفسي – أن الناس يتحركون هكذا في هذا المجال

ويحاول تيمور أن يرسم نماذج بشرية من خلال شخصيات محلية – وهي محاولة لو أفلحت لأنشأت فناً إنسانياً وقومياً رفيعاً – ولكنه فيما يخيل إليّ بعيد كل البعد عن الناس وعن البيئة . فالناس – حيث كانوا – لا يتصرفون هذه التصرفات . والناس في مصر ، ليسوا كما يتوهمهم المؤلف ، لا في طبيعتهم ، ولا في أحاديثهم ، ولا في خلجاتهم النفسية ، ولا في سمة من السمات المحلية الكثيرة التي تبرز طابعهم

إنه لا يخطر لهذه الشخوص مرة واحدة أن تنفعل انفعالاً قوياً ، كما يقع للآدميين – وحين تنفعل يبدو التكلف والبعد عن الحقيقة – وهي غالباً « سهتانة » كما يقول العوام ، حتى في فورات الحب ودفعات الانتقام . والحركة العنيفة ليست مطلباً فنياً في ذاته ، ولكنها علامة من علامات الحياة تصدر من البنية الحية في ميعادها ، فتدل على الحياة الكامنة فيها

* * *

و « بنت الشيطان » مجموعة قصص تبدأ بأسطورة تحمل هذا العنوان . وتحوي غيرها سبع قصص أخرى وتلمح في هذه الأسطورة محاولة فلسفية لإبراز فكرة خاصة ، على نحو ما يصنع توفيق الحكيم . ولكن المدى متطاول . إن الحركة القومية السريعة ، والبراعة الفنية اللبقة كلتاهما خاصتان من خواص العمل الفني عند توفيق ، وكلتاهما تتوارى في هذه المحاولة ، فتظل باهتة اللون ، وانية الحركة ، حتى تنتهي الأقصوصة وفي نفسك منها ظلال خفيفة تنمحي بعد قليل

« بنت الشيطان » طفلة آدمية ، اختطفها زعيم الشياطين ، لينفذ وصية سلفه العظيم ، في أن يصنع شيئاً ، يثبت به أن الشيطان قادر على القيام بشيء آخر غير الشر الذي اشتهر به ! فهو يحاول أن ينشئها بعيدة عن الشر والألم في قصر مسحور

ولكن أميراً شاباً مغامراً يسمع بخبرها ، فيحاول وينجح في الاتصال بها واختطافها ويفتح عينيها على مباهج الحياة الدنيا ويوقظ فيها غرائزها – بعد أن كانت نائمة – فإذا ردها إلى القصر . اشتاقت أن تعود إلى دنيا الشرور الإنسانية ، مؤثرة

إياها مع ذلك العالم الخير الخالي من الألم والشرور

والفكرة — كما ترى — جيدة وبراقة . ولو تولاها قلم كقلم توفيق الحكيم ، لأخرج منها قطعة فنية منسقة . ولو تولاها المازني لأخرج منها قطعة فكاهية ساخرة

ولكنك تقرؤها هنا فتعجبك الفكرة ثم تنقصك الحرارة كما ينقصك التنسيق الذي يقرر الحركة المناسبة في موعدها المناسب ، وهناك مواقف بين الشاب والفتاة تتوقع فيها حركة ويرتفع نبضك في انتظارها ، ولكنها تمر كما لو كانت في سنة أو لو كنت متفرجاً بغير حماس !

وفي المجموعة سبع قصص أخرى من النوع « الواقعي » خير ما فيها قصة « الترام رقم ٢ » ، وقصة : « الجنتلمان »

[وفي الأولى يصور فتاة مشردة تركب الترام بلا أجر ؛ فيضيق بها « التذكرى » مرة بعد مرة ، حتى يزيد ضيقه بها فيدفعها فتسقط ، ويكاد يقتلها الترام لولا من يأخذ بيدها في الطريق . وهنا يسمع منها التذكرى أنها لم تذق الطعام منذ أمس ، بينما ينطلق الترام

منذ ذلك الحين يدب في نفسه عطف على الفتاة ، ولكننا نتبين بعد قليل أن هذا العطف ليس خالصاً . لقد تنبهت الغريزة إن هذا التذكرى يعيش أعزب منذ أن ماتت زوجه ، تقوم بشئونه خادمة عجوز . فهو منذ اليوم ضيق الصدر بهذه الحياة ، وهو مشتاق لأن يعثر على الفتاة . وحين يعثر عليها بعد أيام لا يدفعها من الترام ، بل يدس في يدها تذكرة عند صعود المفتش ، وحين يقف الترام يشترى لها رغيفاً محشواً بالأدم ، ويسألها عن حياتها أسئلة متقطعة

حتى إذا كان الشوط الأخير نزل يقصد داره ، وقدمان تتبعانه ... إلى الدار ! لقد أحست الأنثى بغريزتها ما الذي يعطفه عليها ، فسارت على خطاه !

وفي الثانية يرى في مطعم اعتاد أن يرتاده . دمية تمثل « الجنتلمان » يمسك بيده قائمة الطعام ، فيتخيل هذا الجنتلمان حياً ، ويقابله بالتضايق منه والتبرم به ، لما في وقفته من تكلف وما في « نفسه ! » من تصنع ، فيهجر المطعم من أجله . وأخيراً يفلس المطعم ويباع ليهودي في شارع « جامع البنات » ويمر به ، فيراه هناك ذليلاً ممسكاً بيده عينة بطاقات . فيستريح لذلة الجنتلمان . ثم يزداد تدهوره ، حتى يعثر به في شارع الموسكي غارقاً تحت حمل من الملابس القديمة ، فيهز يده فينهار !

وهكذا نجد في القصة الأولى ظلالاً إنسانية ، وتحليلاً نفسياً ، وفي الثانية انفعالات نفسية وسخرية لطيفة . وكلتاهما تنبع من قلب إنسان ، ولكنه إنسان يؤثر اللطف والرقة على الانفعال والحيوية : ضحكته ابتسامة باهتة . وغضبته سحابة طارئة . ووثبته خطوة دانية . وإشارته إيماءة خفيفة . ولكنه إنسان

* * *

هذه الظلال الإنسانية التي تبدو في بعض القصص ، مع شيء من الشاعرية اللطيفة ، هي وحدها التي تجعل الناقد لا يستطيع أن يغفل فن تيمور وهو يتحدث عن القصة ، مهما كان في هذا الفن من فتور

أيها القارىء . لقد حيرتك فيما أحسب بهذه الأحكام المتناقضة !

إنها صورة من نفسي تجاه فن تيمور . سيد قطب

على هامش ذكرى المعرى

«داعى الدعاة» مناظر المعرى

للدكتور محمد كامل حسين

— ٦ —

رأينا المؤيد عالماً من أكبر علماء عصره ، ومؤلفاً يبث آراءه وتعاليمه فى بطون الكتب ، ومجادلا له خطره يخشاه مناظروه ويرهبه أكبر مفكرى عصره وهو أبو العلاء المعرى . والآن نتحدث عن أثر المؤيد فيمن جاء بعده بعد أن عرفنا مقدار تأثيره فى معاصريه ، فقد كان للمؤيد تلاميذ استمعوا إليه وأخذوا عنه ، منهم الشاعر الفارس المشهور « ناصرى خسرو » الذى وفد إلى مصر بدعوة من المؤيد ، ووصف مصر فى كتابه المشهور «سفر نامه» . فقد تحدث هذا الشاعر عن المؤيد ومجالسه فى كثير من قصائده . فمن ذلك ما ترجمته :

« إن الله قد فتح عليك باب الحكمة بما تفتح عنه خاطر الأستاذ المؤيد

كل من يراه يوم مجلسه يرى عقلاً مفكراً
أن الأستاذ جمل يعطى يوماً مشرقاً ببراهين منيرة كالشمس
إنى نظرت من زاوية عقله فرأيت الفلك دائراً تحتى
فقد أطلعنى على العالمين (الظاهر والباطن)
وجعلهما حاضرين وفى مكان واحد من وجودى .

إنى رأيت فى مكان واحد مالكا ورضوان ، واستقر فى صدرى الفردوس والنيران

وقال لى إننى تلميذه ، وأشار عندئذ إلى رضوان »

إلى غير ذلك من أشعار ناصرى خسرو الفارسية التى تحدث فيها عن أستاذه المؤيد والتى يطول بنا الحديث لو تتبعنا أثرها .

من ناحية أخرى يعد المؤيد أستاذ الدعوة الفاطمية فى اليمن مع أنه لم يرحل إلى هذه البلاد ، بل نقل تلاميذه إلى هذه البلاد آراءه وتعاليمه ، وأثبت علماء اليمن هذه الآراء والتعاليم فيما تركوه لنا من كتب ، بل أستطيع أن أقول إن علماء الدعوة فى اليمن هم أكثر الناس حديثاً عن المؤيد ، واقتباساً من كلامه واستناداً لحججه ، وأشدهم اعتقاداً بأن الحق ما قاله المؤيد دون غيره من الدعاة ، ويكفى أن نستدل على ذلك بقول إبراهيم بن الحسين الحامدى المتوفى سنة ٥٥٧ هـ فى كتابه كنز الولد : وسيدنا المؤيد أقرب الحدود إلينا ، وهو لا يأتى إلا بصحيح ما جاء به الحدود وإلغاء ما كان به شبهة أو فساد ، لأن الآخر ينسخ ما جاء به الأول بإيضاح الرموز ؛ والمؤيد حجة رابع الأشهاد ذو القوة فى العلم والتأييد والحكمة والتسديد المنصوص عليه باسم الحججية ، كما قال مولاه المستنصر عنه :

يا حجة مشهورة فى الورى	وطود علم أعجز المرتقى
شيعتنا قد عدموا رشدهم	فى الغرب يا صاح وفى المشرق
فانشر لهم ما شئت من علمنا	وكن لهم كالوالد المشفق
إن كنت فى دعوتنا آخرا	فقد تجاوزت مدى السبق
مثلك لا يوجد فيمن مضى	من سائر الناس ولا من بقى

فهذه شهادة من لا ترد شهادته ، وأمر من لا يرد أمره ، وتفويضه له فى نشر ما أحب أن ينشره من العلم بلا حصر ولا قصر ، لعلمه بما عنده من الحق »

أما الذى نقل آراء المؤيد إلى اليمن فهو تلميذه لمك بن مالك قاضى قضاة اليمن فى عهد الصليحى . ولم أجد فى الكتب التى تتحدث عن اليمن شيئاً عن لمك هذا ، ولكن الحسن بن نوح الهندى صاحب كتاب الأزهار ذكر لنا قصة طويلة ، نلخصها فى أن الصليحي صاحب اليمن أرسل قاضى قضاته «لمك بن مالك» على رأس وفد إلى مصر للسماح للصليحى فى النهوض إلى العراق لامتلاكها باسم الفاطميين . فلما جاء الوفد إلى مصر نزل لمك فى دار المؤيد مدة خمس سنوات وانتهز هذه الفرصة ؛ فأخذ عن المؤيد أسرار الدعوة الفاطمية ، وكان يدون كل ما يسمعه عن المؤيد إلى أن استوعب كل ما عند المؤيد من علم ، وكان المستنصر الفاطمى قد حجز وفد اليمن لأسباب لا نعلمها ، ولم يسمح لهم بالعودة إلى بلادهم إلا بعد أن قتل الصيلحى ، فعاد لمك إلى اليمن وهناك بخل بعلمه ، ولم يسمح إلا بالشىء القليل منه للداعى المكرم بن الصليحى وللملكة الحرة أروى وأحمد بن قاسم وغيرهم من الدعاة ، بينما خص لمك ابنه يحيى بن لمك بجميع أسرار

الدعوة وكل ما عنده من العلم والحكمة وسلمه كل ما دونه عن المؤيد؛ فهيأ بذلك ابنه يحيى ليكون حجة اليمن في عهد الخليفة الآمر الفاطمي، وأصبح يحيى أكبر عالم في اليمن يحج إليه أتباع المذهب الفاطمي للأخذ من علومه التي رواها عن أبيه عن المؤيد

وذكر صاحب كتاب الأزهار جماعة من تلاميذ يحيى منهم الداعي الخطاب بن حسن الشاعر المتوفى سنة ٥٣٣هـ وذؤيب بن موسى المتوفى سنة ٥٤٧هـ وغيرهما، وهؤلاء الدعاة انتشروا في اليمن يبشرون بما سمعوا عن يحيى بن لمك وأصبح لهم تلاميذ. فذؤيب مثلاً أستاذ الداعي ابراهيم بن الحسين الحامدي، وهذا أستاذ حاتم بن ابراهيم، وهذا أستاذ علي بن حاتم، وهذا أستاذ علي بن محمد بن الوليد. وهكذا نستطيع بسهولة ويسر أن نتتبع علماء الدعوة في اليمن وأن نلمس في هذه المدرسة روح المؤيد وتعاليم المؤيد أخذها دعاة اليمن أحدهم من الآخر. ولو تصفحنا كتب الدعوة في اليمن التي وضعت في القرنين السادس والسابع من الهجرة لا نكاد نجد كتاباً منها يخلو من استشهاد بأقوال المؤيد أو بأشعاره، فصاحب «كنز الولد» ذكر المؤيد في أكثر من ستين موضعاً، واقتبس من المجالس المؤيدية ومناجاته وأشعاره. وصاحب كتاب الأنوار اللطيفة ذكر المؤيد أكثر من أربعين مرة، ونقل صاحب كتاب الأزهار فصولاً بأكملها عن المجالس المؤيدية منها رسائل المؤيد إلى أبي العلاء المعري وهكذا، وكان هؤلاء العلماء يشيرون إلى المؤيد بقولهم: «سيدنا المؤيد» أو «سيدنا» فقط إمعاناً في تعظيمه وتبجيله. وإذن فقد كان المؤيد عظيم الأثر في الدعوة الفاطمية بل لا تزال كتبه إلى الآن من أمهات الكتب التي لا يقربها إلا من بلغ مرتبة عالية من مراتب الدعوة في الهند واليمن (أي بين طائفة البهرة)

هناك ناحية أخرى تتجلى فيها عبقرية المؤيد، تلك هي ناحية الفن الأدبي عند المؤيد، فقد كان المؤيد رجلاً صاحب فن كما كان علماً من أعلام المذهب الفاطمي، وكانت صفته المذهبية تضطره إلى أن يحيط بكل شيء حوله، وإلى أن يلم بالآراء المذهبية وبالتيارات الفلسفية التي ملأت الأقطار الإسلامية في ذلك العصر، فأخذ المؤيد بحظ وافر من نواحي الحياة العقلية المختلفة واضطر إلى أن يجادل مخالفي مذهبه طوراً بالمكاتبة وطوراً بالمناظرة الشفوية فكان ذلك من أقوى الأسباب التي أدت إلى أن يكون المؤيد حريصاً أشد الحرص في أسلوبه وفي لفظه وأن يكون ناقداً مدققاً يفكر ويطيل التفكير وينقد كل لفظ قبل أن يذيعه في الناس فظهر أسلوبه الأدبي أسلوباً رائعاً يبهر السامعين، جمع بين قوة أسلوب العلماء المفكرين، وروعة أسلوب الكتاب الإنشائيين حتى كأني به قد اتخذ أسلوبه سلاحاً ليفحم به خصومه وليجذب به سامعيه. والمؤيد في الوقت نفسه كان أستاذاً من أساتذة (التأويل) وأساس التأويل يعتمد على قوة الملاحظة وخصوبة الخيال، وعلى قدرة خاصة على التغلغل في الموجودات ليتخذها المؤول دليلاً على أسرار الدين فكان لهذه الناحية أثرها في فن المؤيد إذا اتجهت به في شعره اتجاهاً خاصاً لا نكاد نجده عند أي شاعر آخر من شعراء العربية إلا عند أبي العلاء المعري، فأبو العلاء والمؤيد هما الشاعران اللذان استطاعا أن يسفا في شعرهما اختلاف العقائد الدينية، وأن يتحدثا عن الآراء الفلسفية وعن الحياة والموت وعن دقائق الكائنات العلوية والسفلية

انظر إلى المؤيد مثلاً وهو يتحدث في إحدى أراجيزه عن خلاف الناس في موضوع «الرؤية»:

ونقضوا قواعد الشريعة ... كل له مقـــالة شنيعه
من مثبت لرؤية الرحمن ... مستشهد بآية القرآن
ومنكر قد جاء ينفي تلكا ... ودونها الشرك يرى والكفرا

وقال في نفس الموضوع في أرجوزة أخرى:

فقـائل قال تراه العين ... وهو لعمري وصمة وشين
من أجل أن رؤية الأبصار ... مختصة بالجسم ذي الأقطار
وقائل قد قال لما دققا ... جـداً وفي أفكاره تعمقا
ما ذاك إلا قول ذي تضليل ... نراه لكن رؤية العقول
أمعن حتى ما أتى بشيء ... ولم يبق رشـداً من غي
فالعقل للمرء أداة كالبصر ... ذا باطن فيه وهـذا قد ظهر
فإن جعلت نحوه سبيلاً ... للعقل لم تجاوز التمثيلا
كلاهما يدرك بالمجانسه ... مقالة صحت بلا ممارسه
وليس من جنس العقول الله ... ياقوم كي تدركه حاشاه
كما تعالى أن يكون كالصور ... مجسماً كيما يلاقيه البصر

القضايا الكبرى فى الاسلام

قذف عائشة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

— ٨ —

سأتناول بحث حديث الإفك المشهور من ناحيته القضائية ، وسأعنى فى ذلك بتحقيق أمور فيه لم يتناولها الذين بحثوه من ناحيته التاريخية ليكون بحثاً قضائياً ينسجم والبحوث القضائية التى تدخل فى موضوعنا ، ويتفق فى ذلك مسلكه ومسلكها ، ويندرج به فى مسائل القضاء لا فى مسائل التاريخ

وكان حديث الإفك فى السنة الخامسة من الهجرة ، وقد جرى بعد انتهاء النبى صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المُصْطَلَق ، فلما دنوا من المدينة قافلين من تلك الغزوة أذَّنَ ليلة بالرحيل ، فقامت عائشة رضى الله عنها لقضاء حاجتها حتى جاوزت الجيش ، فلما قضت شأنها أقبلت إلى رحلها ، فلمست صدرها فإذا عِقْدٌ لها من جَزْعِ ظَفَارِ قد انقطع ، فرجعت تلتمسه فى المحل الذى قضت فيه حاجتها ، وقد حبسها التماسه حتى أقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لها ، فاحتملوا هودجها على بعيرها وهم يحسبون أنها فيه ، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لقلة أكلهن ، لأن السِّمَنَ وكثرة اللحم تنشأ غالباً عن كثرة الأكل

وقد رجعت عائشة بعد أن وجدت عقدها إلى محل الجيش فوجدتهم قد ارتحلوا ، فجلست فى مكانها الذى كانت فيه ، وظنت أنهم سيفقدونها فيرجعون إليها ، فبينما هى جالسة فى مكانها غلبتها عيناها فنامت ، وكان صفوان بن المُعَطَّل رضى الله عنه من عادته أن يسير وراء الجيش ، يفتقد ضائعه ، ويرد ما يجده من ذلك إلى صاحبه ، وقيل إنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ، فلما وصل إلى عائشة عرفها لأنه كان رآها قبل الحجاب ، فاسترجع أى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون . فاستيقظت عائشة باسترجاعه وسترت وجهها بجلبابها ، فأناخ راحلته وأركبها من غير أن يتكلما بكلمة ، ثم انطلق يقود بها الراحلة حتى وصل الجيش وهو نازل للراحلة .

وكان عبد الله بن أُبَىّ بن سَلُول رئيس المنافقين نازلا مع جماعته مبتعدين عن الناس ، فلما مرت عليه عائشة وصفوان قال : من هذه ؟ قالوا : عائشة وصفوان . فقال : فجر بها ورب الكعبة . وفى رواية : ما برئت منه وما برئ منها . وصار يقول : امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت . ثم أشاع ذلك فى المدينة بعد دخولهم لها ، وقيل إنه كان يُتَحَدَّثُ به عنده فيقره ويستمعه ويستوشيه ، أى يستخرجه بالبحث عنه ، ولكن الذى ثبت عليه الاشتراك فى هذا الإفك أربعة : عبد الله بن أُبَىّ ، ومِسْطَحُ بن أثاثة ، وحمنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين وعبيد الله بن جحش أخوها . وبعضهم زاد خامساً هو زيد بن رفاعة . وبعضهم زاد سادساً هو حسان بن ثابت

ولا شك أن هذا لا يعد إلا قذفاً فى حق عائشة رضى الله عنها ، لأن دعوى الزنا تقرر أمرها قبل حديث الإفك بآية النساء : (واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا) ؛ فلا يثبت الزنا بعد هذه الآية إلا بأربعة من

فالفرقتان اجتمعا مشبهه خباطتا عشواء جهل وعمه
ما جاوزت حد صفات البشر ونمت أرواحهم والصور
ذلك تشبيه فما التوحيد وذاك تجسيد فما التجريد

فهو هنا يتحدث عن موضوع خاض الناس فيه ، وتفرقوا شيعاً وأحزاباً بسببه ، حتى لا نجد كتاباً من كتب الفرق إلا وبه فصل عنه ، فلم يترك المؤيد هذه الفرصة دون أن يدلى بدلوه مع غيره من العلماء ، بل هو هنا يجادلهم بالنظم ، كما جادلهم بالنثر ، جادل المعتزلة الذين يرون أن الله سبحانه وتعالى يرى رؤية عقلية ويجادل المشبهة الذين قالوا إننا نرى الله رؤية العين ، ولكن المؤيد يرفض الرأيين ولا يقبلهما ، كما يدلنا نظمه هذا على عقيدة الفاطميين فى هذا الموضوع . وإذن فنحن نستطيع أن نأخذ ديوان المؤيد مرجعاً هاماً لدراسة عقائد المذهب الفاطمي . فقد بث المؤيد شيئاً كثيراً جداً من العقائد الفاطمية فى أراجيزه وشعره مدح بها خلفاء مذهبه .

(يتبع)

دكتور
محمد كامل حسين
مدرس بكلية الآداب بالقاهرة

الشهود ، ولا يجوز لشخص أن يرمى أحداً بالزنا فيما دون ذلك ولو عاينه معاينة ، فكيف بأمر عائشة وقد جرى على أسلوب لا يدل على شيء من الريبة ، لأن الذى يقع فى الريبة يحاول إخفاءها ، ولا يفعل ما فعله صفوان من الإتيان بعائشة على راحلته ، وكان الذى يجب أن يقع لو كان هنـاك ريبة أن يأتى وحده ويتركها إلى أن يبعثوا فى طلبها ، أو يقيم قريباً منها إذا خاف أن يتركها وحدها ، بحيث لا يراها ولا تراه ، ولا يراه أحد من الناس ، حتى إذا عثروا عليها سار على عادته فى طريق الجيش ، وقطع على الناس طريق الكلام فى أمرها

وإذا لم يكن حد القذف قد نزل إلى ذلك الوقت ، فإن ما حصل من عبد الله بن أبَىّ وإخوانه يستحق التعزير الشديد ، لأنه قذف قبيح فى حق سيدة شريفة لها منزلتها كزوجة نبى ، وكابنة أكبر أصحابه وآثرهم عنده ، ولـكن النبى صلى الله عليه وسلم لم يتوجه نفسه إلى إقامة التعزير عليهم فى ذلك القذف ، لأنه كان كثيراً ما يغضى عما يحصل من أولئك المنافقين ، ويؤثر فى ذلك المصلحة العامة على المصلحة الخاصة ، لأن عبد الله ابن أبى كان من رؤساء الخزرج ، وكان الإسلام لا يزال غضاً طرياً لم يقتلع من النفوس كل آثار العصبية ، وهذا إلى أن من الحكمة فى مثل ذلك الإفك أن يقضى عليه بالإغضاء ، وأن يترك أصحابه حتى يملوه من أنفسهم ويروا أنه لا قيمة لكلامهم

فلم يهتم النبى صلى الله عليه وسلم إلا بمعرفة أثر ذلك الإفك فى نفوس أصحابه ، وقد أخذ يستشيرهم فى أمره ، فقال له عمر رضى الله عنه : من زوجها لك يا رسول الله ؟ قال : الله تعالى . فقال عمر : أفتظن أن الله دلّس عليك فيها ، سبحانك هذا بهتان عظيم . ثم دعا النبى صلى الله عليه على بن أبى طالب وأسامة ابن زيد ليستأمرهما فى فراقها ، فأما أسامة فقال : أهلَكَ يا رسول الله ، ولا نعلم إلا خيراً . وأما على بن أبى طالب فقال : يا رسول الله ، لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإنك لتقدر أن تستخلف . وفى رواية أنه قال : قد أحل الله لك فطلقها وأنكح غيرها ، وإن تسأل الجارية تصدقك ، يعنى بَرِيرَةَ رضى الله عنها ، لأنهـا كانت تخدم عائشة وتعرف من أمرها ما لا يعرفه غيرها . فدعا النبى صلى الله عليه وسلم بريرة فقال لها : أىْ بريرة ، هل رأيت من شيء يريبك ؟ قالت : والذى بعثك بالحق ما رأيت عليها أمراً أغمِصُهُ أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها ، فتأتى الداجن فتأكله . ثم سأل النبى صلى الله عليه وسلم زوجه زينب بنت جحش . فقالت : يا رسول الله ، حاشا سمعى وبصرى ، ما علمت إلا خيراً ، والله ما أكلمها وإنى لمهاجرتها ، وما كنت أقول إلا الحق

فلما فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من استشارة كبار أصحابه قام فى الناس وخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، من يعذرنى من رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى ، فوالله ما علمت على أهلى إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، ولا يدخل بيتاً من بيوتى إلا وأنا حاضر ، ولا غبت فى سفر إلا غاب معى

فقام سعد بن معاذ سيد الأوس ، وقيل أسيد بن حضير فقال : يا رسول الله ، أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك

فقام سعد بن عبادة سيد الخزرج وقد احتملته الحمِيَّةُ فقال : كذبت لَعَمْرُ الله لا تقتله ولا تقدر على قتله . وثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ، والنبى صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل يُخفِّضُهم حتى سكتوا ، ولم يفعل شيئاً مع ذلك الرجل الذى آذاه فى أهله ، درءاً لتلك الفتنة ، وإيثاراً للصلح بين الحيين اللذين قام على عاتقهما الإسلام

كل هذا وعائشة لا تعلم شيئاً مما يقال فى حقها ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يرد أن يؤذيها به ، فكل شيء يهون إلا الشرف ، وكل شيء يحتمل إلا ما يخدش العِرْض ، وكانت قد مرضت عقب وصولها إلى المدينة ، فلم يشأ أن يزيدها آلاماً على آلام المرض ، ولـكنه كان فى نفسه شيء من تصرفها الذى مَكّنَ ذلك الرجل من ذلك الإفك ، وكان عليها عند خروجها لالتماس عقدها أن تترك خبراً بذلك فى الجيش ، حتى ينتظر رجوعها ولا يسير ويتركها وحدها ؛ فرابها من النبى صلى الله عليه وسلم أنها لم تر منه اللطف الذى كانت تراه منه حين تمرض ،

وإنما كان يدخل عليها وعندها أمها تمرضها فيسلم ثم يقول: كيف تيكم. لا يزيد على ذلك شيئاً، ثم ينصرف ولا يمكث عندها

ولم يزل هذا حاله معها إلى أن خرجت بعد ما نقهت، فخرجت معها أم مسطح بن أثاثة، وهي بنت خالة أبي بكر، وكان ابنها مسطح يتيماً في حجر أبي بكر، وكان أبو بكر ينفق عليه لأنه كان فقيراً، وقد سارتا حتى وصلتا إلى المنصع، وهو محل متسع كانت النساء يخرجن بالليل للتبرز فيه، فلما فرغتا من شأنهما وأقبلتا عثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح. فقالت عائشة لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدراً! قالت: يا هنتاه أو لم تسمعي ما قال؟ قالت: وما قال؟ فأخبرتها بقول أهل الإفك

فخرت عائشة مغشياً عليها حين أخبرتها بذلك، وازدادت مرضاً على مرضها، وأخذتها حمى نافضة، ثم رجعت إلى بيتها ومكثت ليلتها حتى أصبحت، لا يرقأ لها دمع، ولا تكتحل بنوم، ثم أصبحت تبكي، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم، فسلم ثم قال: كيف تيكم؟ فقالت له: أتأذن لي أن آتي بيت أبوي. وهي تريد بهذا أن تتثبت من ذلك الخبر، فأذن لها في ذلك وأرسل معها غلاماً من الغلمان، وكان قد مضى إذ ذاك بضع وعشرون ليلة على قول أهل الإفك، فقالت لأمها: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدثوا به، لا تذكرين لي من ذلك شيئاً! فقالت لها أمها: هوني عليك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها. فقالت عائشة: سبحان الله! ولقد تحدث الناس بهذا، وعلم به أبي، وعلم به رسول الله. قالت: نعم. فاستعبرت وبكت ومكثت ليلتان لا يرقأ لها دمع، ولا تكتحل بنوم؛ وكانت تبكي وأبواها يبكيان، وأهل الدار يبكون، وبينما هم على ذلك دخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، فسلم ثم جلس، ولم يكن قد جلس عندها منذ قيل ما قيل، وقد لبث على ذلك شهراً لا يوحى إليه في شأنها

وهنا يذكرون أن النبي صلى الله عليه وسلم تشهد حين جلس، ثم قال: أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تعالى تاب الله عليه. قال بعضهم: دعاها إلى الاعتراف ولم يأمرها بالستر، مع أنه المطلوب ممن أتى ذنباً لم يطلع عليه

فقالت عائشة لأبويها: ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالا: والله لا ندري بماذا نجيبه. فقالت: لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في نفوسكم، فلئن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم أني بريئة - لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أني منه بريئة - لتصدقني، فوالله لا أجد لي ولكم إلا قول أبي يوسف عليهما السلام إذ يقول: فصبر جميل والله المستعان. ثم تحولت فاضطجعت على فراشها

ولا شك أن هذا الذي يذكرونه لا يتفق وما سبق من النبي صلى الله عليه وسلم حين جمع الناس فخطبهم، وذكر أنه لا يعلم على أهله إلا خيراً، وأن أهل الإفك ذكروا رجلاً لا يعلم عليه إلا خيراً، فكيف يعود بعد هذا إلى الشك في براءة أهله من ذلك الإفك، وقد استشار كبار أصحابه فبرأوا عائشة منه، وذكروا أنه إثم وبهتان عظيم

ولما بلغ الأمر أشده، ولم يعد من السهل أن تعود عائشة إلى بيتها على هذا الحال، نزل الوحي ببراءتها في الآيات الأولى من سورة النور، ونزل فيها حكم القذف: (والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم).

فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الناس وخطبهم وتلا عليهم تلك الآيات، وأمر بجلد أصحاب الإفك، وقد اتفقوا على جلد ثلاثة منهم، وهم مسطح وحمنة بنت جحش وأخوها عبيد الله، واختلفوا في جلد عبد الله بن أبي وحسان بن ثابت، فقيل إن عبد الله جلد أيضاً، وقيل إنه لم يجلد، لأن الحد كفارة وليس من أهلها انفاقه؛ أو لأنه لم تقم عليه البينة بذلك، أو لأنه كان لا يأتي بذلك على أنه من عنده، بل على لسان غيره

وأما حسان فقيل إنه كان من أهل الإفك وإنه جلد فيه، وقيل إنه لم يكن منهم ولم يجلد مثلهم، ومما يدل على أنه لم يكن من أهل الإفك تبرؤه مما نسب إليه في أبيات مدح بها عائشة رضي الله عنها، ومنها قوله:

مهذبة قد طيب الله خيمها
وطهرها من كل سوء وباطل

في الأدب الأندلسي الشعبي

ابن قزمـــــان

للأســـتاذ أحمد مدينة

العربية واللاتينية ، هما اللغتان اللتان كانتــا سائدتين في إسبانيا الإسلامية ، وعنهما تفرعت لغتان عاميتان : اللاتينية الدارجة « الرومنسية أو العجمية » لغة الصبيان والأحداث ، وأرباب الصناعة والزوجات الإسبانيوليات ، والعربية الدارجة ، متأثرة بالعجمية والبربرية :

داب نعشق لأليمـه نجيمــــه
من يحبـــك ويموت فيـــك
إن قتلت عاد يكون بيـــك
لو قـــدر قلـــبي يخليك
لم يـــدبّر ذا النّعيمــــه
يامطرتن شليباطُ (يا مذهول)
تن حزين تن بناطُ (إنك مكروب)
ترى اليوم وشطاطُ (صائماً)
لم تذق فيـــه غـير لقيمه

بهذه اللغة نظم ابن قزمان — أبو نواس الأندلسي — أزجاله ، فطار صيتها إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وتأثر بها الشعراء الأوربيون في تأليف الأغاني الشعبية لا سيما شعراء «التروبادور» ، وعلى رأسهم «الكونت ده بواتيي» البروفنسالي

نشأ الشاعر في قرطبة وتوفى أوائل النصف الثاني من القرن السادس بعد أن تجاوز الثمانين سنة قضاها متنقلاً ، بين إشبيلية وجيّان وبلنسيه

كان طويل القامة أشقر الشعر ، أزرق العينين ، تزوج ، ثم هجر زوجه لما لقيه فيها — وفي بنات جنسها — من المكر والخديعة :

أنا تايب يالس نقول بزواج
ولا بجـلوَ ولا عروس بتـــاج
لا رياســـة غـير اللعب بالزجاج
والمبيت برٌ والطعـام والشراب

* * *

النسا ، كما في علمك ، الهروب منهم غنيمه
لس ترى لوحدَ منهم ما بقيت في الدنيا قيمه
وســوى تـكن فميني الجديدَ والقديمه
والبعيدَ والقريبَ والسمينة والدقيقة

عاصر من القواد يوسف بن تاشفين وابنه علي وحفيده تاشفين ، ومن الأدباء ابن بسام صاحب « الذخيرة » ومن الفلاسفة ابن باجه وابن رشد

في أزجال ابن قزمان يتقلص ظل التأثير الشرقي في الأدب الأندلسي ، فلا أطلال ، ولا دمن ولا صحراء ولا جمال نجد لهــا ذكراً في ديوانه ، بل هو نفسه يستنكر احتذاء الأقدمين ويمعن في تعرية أزجاله من الإعراب ، موجهاً لومه لأستاذه أخطل ابن غارة لالتزامه له :

« ولما اتسع في طريق الزجل باعي ، وانقادت لغريبه طباعي وصارت الأئمة فيه حولي وأتباعي ، وحصلت منه على مقدار لم يحصله مني زجال ، وقويت فيه قوة نقلتها الرجال عن الرجال . وصفيته عن العقد التي تشينه ، وسهلته ، حتى لان ملمسه ، ورق خشينه ، وعريته من الإعراب ... وجملته قريباً بعيداً ، وبلدياً غريباً . ولقد كنت أرى الناس يلهجون بالمتقدمين ويعظمون أولائك المتقدمين يجعلونهم في السّماك الأعزل ويرون لهم المرتبة العليا والمقدار الأجزل ، وهم لا يعرفون الطريق ، ويذرون القبلة ويمشون في التغريب والتشريق ، يأتون بمعان باردة وأغراض شاردة ، وألفاظ شياطينها غمز ماردة ، والإعراب وهو أقبح ما يكون في الزجل ، وأثقل من إقبال الأجل . ولم أر أسلس

فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتمُ
فلا رفعتْ سـوطي إليَّ أناملي
وكيف ودي ما حييتُ ونصرتي
لآل رســـول الله زين المحافلِ

وقد ذكر الزبير بن بكار أنه قيل لعائشة رضي الله عنها وقد قالت في حق حسان رضي الله عنه إني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبه بلسانه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس هو ممن لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك ؟ قالت : لم يقل شيئاً ، ولـكنه القائل :

فإن كان ما قد قيل عنّي قلتهُ
فلا رفعتْ سـوطي إليَّ أناملي

عبد المتعال الصعيدي

طبعاً وأخصب رَبْعاً - ومن حجوا إليه طافوا به سبعاً - أحق برياسة فى ذلك والإمارة ، من الشيخ أخطل بن غارة . فإنه نهج الطريق ، وطرق ، فأحسن التطريق . ولو لم يكن له رحمه الله من قوة التخيل وصحة المعارضة إلا . . . كقوله : أنا من أهل البادية ، ومن دارا خالية ، ملأ بدم الدالية ... وليس اللحن فى الكلام المعرب الفصيح أو الموضح بأقبح من الإعراب في الزجل . ولو عاش ابن غارة ، وأحضرنا وإياه سلطان وضمّنا قصر ، حتى يسمع الغرائب والأسمار لحار ، ولعلم أن لنا قصب السبق ولواء الغلب

سمى ديوانه « إصابة الأغراض فى ذكر الأعراض » وفيه يصف أعياد المسلمين والمسيحيين ، ويفرط فى ذكر محاسن الغلمان ، وامتدح السكارى والمخمورين ، ومجالس الشراب ، ولا يخفى تبرمه بالصوم :

تركيب الإنسان منذ كان لطيف
وبالصيام قد صرت نحيل ضعيف
رقيق أنا يابس أصفر نحيف
يحملنى البرطال (العصفور) فى شان شاله

ولا سخريته بالفقهاء :

اسمع اش قلّى الفقى : توب ، إن ذا فضولى أحمق !
كيف نتوب والروض ضاحك والنسيم كالمسك يعبق ؟!

فطعن من أجل ذلك فى دينه ، وكاد يقتل لولا أن لطف به أحد القضاة من أصحابه

وهو إذ ينظم الزجل ، لا يعبر فيه دائماً عن إحساسه الشخصى ، وإنما يؤلف الكلام لينشده المغنى على لسان ملك ، أو تاجر أو عبد مسترق أو امرأة . وقد يكون المغنى والمستمعون كلاهما من المتسولين والمشعوذين والمحتالين ، بل مما لا غنى عنه أن يتألف منهم « الكورس » لترديد « المركز » كلما كف المنشد عن الغناء ، وقلما تحتجب — فى مثل هذه المحافل الشعبية — العيدان والمزامير والطبول والصافق وغيرها من آلات الطرب ، مع الاستعانة بالرقص فى بعض الأحيان .

الديوانه

يرجح أن الذى عثر عليه فى العراق هو « روسو » قنصل فرنسا فى بغداد ، ثم بيع للاسكندر الأول قيصر روسيا سنة ١٨٢٥ فضم إلى المخطوطات الشرقية فى المتحف الأسيوى بسان بترسبورج (لنينجراد) وبقى منسياً فيه إلى سنة ١٨٨١ حين كتب عنه « البارون ده روزن » ، ثم نشره « البارون ده جونزبرج » بالتصوير الشمسى سنة ١٨٩٦ ، وضمنه وعداً بإيراد سيرة الشاعر ، وترجمة أزجاله ومقارنة لغتها بلهجات الأندلس وشمالى إفريقية ، خلال القرن السادس ، ولكن الموت أدركه سنة ١٩١٠ ، دون أن يفى بما وعد . ثم جاء بعده المستعرب الإسبانى « ريبرا » ، فألقى محاضرة عنه طبعت سنة ١٩١٢ وفى عام ١٩٣٣ طبعه « نيكل » فى مجلة الأندلس بحروف لاتينية إلا القدمة ، فإنها بالرسم العربى ، وعنى بذكره بعد ذلك الأستاذ بلينسيا فى كتابه « تاريخ الأدب العربى فى أسبانيا » المطبوع سنة ١٩٢٨

وأخيراً يردد فى الدوائر الأدبية أن المسيو لاوى بروفنسال شرع فى التأهب لنشره

والديوان المطبوع بالتصوير الشمسى منسوخ بخط شرق « استكتبه لنفسه الأديب محمد بن أبى بكر القطان بصفد المحروسة استحساناً له وغواية فيه »

أحمد مدينة
ليسانسيه فى الآداب من جامعة فاروق الأول

بعـــد عامين . . .

لصاحب العزة عزيز أباظه بك

[كتب لى أديب جليل الخطر من أدباء الأقطار الشقيقة يقول : « إنها حية فى قلبك لا شك فى ذلك . فالرأى عندى أن تبذل لها غزلك ، وتحبس عنها رثاءك »]

يا زين عهدُك بى – جُعلت فِداكِ –
نفسٌ مُنـدَّبةٌ[1] وطرفٌ باكِ
وجوانحٌ تُطوى على مُستضعف حيران ذاق اليُتمَ يوم نواكِ
يا زين والدنيا قرارةُ شِقوةٍ أتراكِ مُلْتَثِت النعيمَ هناكِ
إن كانت استعْدت عليك خطوبها
فلقد بلغتِ من الحياة مُناكِ
خلَّفتِ نفح الورد فى أرجائها ومضيتِ: أكرمُ سيرةٍ ذكراكِ
وذهبتِ ضاحكةَ النضارة والصِّبا
كالروض سامَرَه الربيعُ[2] البـاكى
عبست لكِ الأيامُ حتى لم تجدْ هدفاً لماسف كيدِها إلاكِ
ألوتْ بأختكِ بعد أن قَرَست[3] أخاً
فمضت . وأعجلَ بعـدها أخواكِ
ثقُلت رزيئتُهم علىَّ وإنمـا قدكان أفدحَ ماجلت أساكِ[4]
يا جمةَ السين الطويل سهادُها
كم صدَّعت[5] عن الـكرى عيناكِ
يا قبــلة الطلِّ الرفيق سرت على
خدِّ الشقيق[6] فرفَّ[7] واستحياكِ
يا همسةَ الشاكى – وخير سِفارة –
بين الهـوى والهجـرِ همسةُ شاكى
قلبى وعقلى – قدعلمت – كلاهما خبرَاكِ فاصطفياكِ واعتلقاكِ
لم يخل من حضر البلاد وريفها للنفس . إلا حيثما تلقاكِ
ويروق فى عينىَّ ما استحسنته ويهون ما يَزْوَرُّ عنه رضاكِ
ويهون ضاحى العمر إلا ليلةً جادت على طول النوى بلقاكِ
بتنا بهـا زوجيْن نالا مُنية كانت تُخال عزيزةَ الإدراكِ
قالت وقلت فلو أصاخ لنا الدجى لرثى لشاكية هناك وشاكِ
عشنا على سَحَـرِ[1] النعيم ونَحْره
حـــتى تورَّدك الردى فطواكِ
نغدو على وردِ الوفاق ونوْرِه ونبيتُ لم نعتبْ على الأشواكِ
فإذا رأيتِ الأمرَ لم أرْتحْ له
شفَّـعتُ عطفكِ واستمنتُ حِجاكِ
وإذا اعتركنا مرة عَرَضَ الهوى
فمحى بسحر عصـاهُ كلَّ عراكِ
وإذا هفت نفسى لغـــير كريمة
جرَّدتِ حزمكِ طبَّـةً[2] ونهـاكِ
فكففتِها فى حكمة ولباقة وبلغت بالمس الرفيقِ مُناكِ
وإذا النفوسُ إلى تواثُمها اهتدت
سعدت . وتلك مراتبُ الأملاكِ[3]
وإذا أهابت بى الملا شيَّعتنى بصريمة يقظى وعزمٍ شاكِ
ودفعتنى ثبْتَ الخطى مُستعصماً
بالله مُهتدياً بنـــور هداكِ
جنبتنى زللَ الصِّبا وعثارَه ومضى يُهذِّب لى الحياةَ صِباكِ
روَّتنى الدنيا ببعض نعيمها فوجدت أكرمه نعيم رضاكِ

* * *

ولقد دخلتُ عليكِ من وشْى الضُّحى
روضاً تنفس فيـــه طيبُ شذاكِ
أسـى إلى مثواكِ مشبوبَ الهوى
وأكاد أومنُ أننى ســـأراكِ
وأفضت حتى جئت رفرفَ مضجعٍ
طُهْـرٍ كأركانِ البنيَّـة[4] زاكِ
وكأنمـا انجاب الرَّخامُ عن الثرى
فأهلَّ من خَلَلِ الرِّجام ضياكِ[5]
فشهدتُ فى حلْىِ العروس وعطرها
نفسى التى ودَّعتُ يوم نواكِ
تلك الصباحة والطلاوة والصبا أضفى عليهن الجلال كراكِ
والماء فى قسمات وجهكِ لامح[6]
صـاف وسحرُكِ ساكبٌ وسناكِ

(١) كثيرة الندوب والجراح
(٢) المطر (٣) افترست (٤) المقصود حزنها على إخوتها
(٥) رنت وترقت (٦) نوع من الزهر (٧) تألق واهتز

(١) الصدر (٢) الطبة الحازمة (٣) الملائكة
(٤) الكعبة (٥) التراب أو الحجارة (٦) لامع

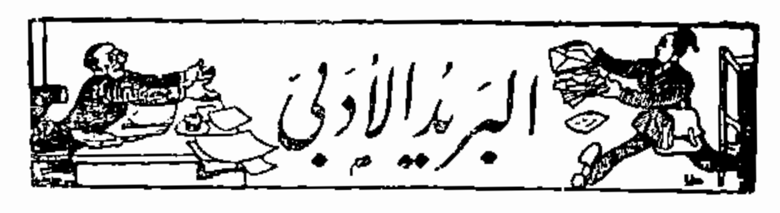
وحُلاك واحدةُ الطراز . ألمْ تصَغْ
من جوهر الخلق الكريم حُلاكِ
فوضمت خدي حيث خدك مائل ومدامعي تَرْوى بها خدّاكِ
وسكبت في أذنيك ألحان الهوى واطالما هشّت لها أذناك
ونهلتُ من عينيك سحراً لم يزل تحت التراب تشمُّه عيناك
وجلوت في فوْدَيْك بدر دُجُنّةٍ
وهصرتُ في عطفيك عودَ أراكِ
ويداى في ذهبيِّ شعركِ ضلَّتا ونُهنه الشوق الجموح يداك
ريعجُّ مثلَ الشُّهد فوك وكالطِّلا
أشتارُ[1] شُهدَكِ أم أعبُّ طِلاكِ ؟
وأقول في سُمَداء أنفاس الجوى
رَيّا السُّلافة تلك أم رَيّاكِ
وأقول من سلبَ الزهورَ رحيقَها
وهفا إليك بصــفوها فسقاكِ
وأقـول والأشجان تنهك مهجتى
والقلب يصهره الأُوارُ الذاكى[2]
لو قد سألت بنا ! فزوجك مُوحش
وبنوك واجمــةٌ وعُشُّك باكِ
بهواكـِ والدنيا جناح بعوضةـ عندى إذا قُرنت بطهر هواكِ
بالضاحك النشوان من عهـد الصبا
في المشرق المأنوس من مغناكِ
وبكل ضمة مُتعــة وهناءة أضفى علىَّ نعيمها حِضناكِ
وبكلِّ عذبِ اللحن من قُبل الهوى
نضحت[3] بهـا شفتى المُلحةُ فاكِ
قسما فلم تلتذَّ غيركِ أضلعى يوماً ولم يصرخ دمى لسواكِ
فامضى كأغنية الربيع ترقرقت ألوانها في نوره الضحاكِ
وامضى كنُيِّرة[4] السماء كريمة الـ
روحات والغدوات والأفلاكِ

* * *

(١) الاشتيار : جنى الشهد (٢) المتقد
(٣) بلت وسقت (٤) الشمس

أملاعبَ الصبوات من حرَم الحمى
هوجُ الخطوبِ أذلن عزَّ حِماكِ
راش الزمانُ سهامَها وأحدَّها فرماكِ ثم رماكِ ثم رماكِ
كانت رباكِ خمائلاً وجداولاً وشمائلاً[1]. أمن الجنان رباكِ ؟
المسكُ ليلُكِ سحرُه وعبيرُه ورقائق الذهبِ الصقيل ضُحاكِ
وتظلُّ أرواحُ العشيِّ عواطلاً من عَرفها ما لم تمسَّ شذاكِ
كيف الغدير السمح . ساق لجُينه[2]
فسقاكِ . والوشىَ البهيجَ كساكِ
هل لم تزل قبلاتُ ضاحك مائه
تترى على صفصافه المتباكى
أم بدَّلت أمواهُـه وخريرُه عبراتِ ناتحةٍ وزفرةَ شاكِ
والقصر . كيف مشى الردى في ساحه
مشيَ الوباء العاصفِ الفتــاكِ
قد كان مرتعَ كل ظبىٍ لاعبٍ
أَنسٍ . وخيسةَ[3] كل ليث شاكِ
درجت طفولتنا على جنباته ونما هوانا في ثراهُ الزاكى[4]
في كل موضع نبتة من روضه ذكرى لموقف لوعةٍ وتشاكى
لمـا التقينا هاج دمعك أدمعى أبكانىَ الشجنُ الذى أبكاكِ
أبصرتنى فرداً فعاودك الأسى لله أىُّ جوًى أثار أساكِ
عزفت عن الشدو الطيور وأجهشت
أيكاتُك[5] المثرى وجفَّ نداكِ
واغبرَّ مُخضرُّ البساط ونكّست
تيجانها الزهراتُ في الأشـواكِ
ويقول مطلولُ البنفسج للندى
يا شدَّ ما نلقى ! ألستَ كذاكِ
أتـكرنَ أنى لم أزل من بعدها
حيًّا . أنا الميت البطىْ هلاكى
أملاعبَ الصبواتِ قد جرت الرحى
فمفتك . لم ترحم سوى ذكراكِ
(ع . ا . ع)

(١) الأنسام (٢) الفضة (٣) بيت الأسد
(٤) الطاهر (٥) جمع أيكة وهى ملتف الشجر



إلى الأستاذ محمد أحمد الغمراوي

تعجبني مداعباتك الطريفة للدكتور زكي مبارك، ويدهشني حقاً كما يدهش الكثيرين أن يقف الدكتور - وهو الصوال المقدام - هذا الموقف السلبي الغريب بإزاء نقد أوشك أن يهدم أكبر أثر له طالما اعتز به وفاخر. وما دام قد لاذ بالصمت وآثر عافية غير محمودة، فلا مندوحة لسواه من أن يسد مسده في التعقيب على ما يستحق التعقيب عليه من هذا النقد. وقد وقعت من ذلك على نقطتين في مقالك الرابع عن «فساد الطريقة في كتاب النثر الفني»

الأولى: أنك ذكرت أن سر تفاهة البيت:

كأننا والمــاء من حولنا قـــوم جلوس حولهم ماء

ليس في صدق هذا الكلام ومطابقته للواقع - كما زعم الدكتور في كتابه - وإنما هو في أن المشبه به في الشطر الثاني من البيت هو المشـبه عينه الوارد في الشطر الأول مما أبطل التشبيه لعدم المغايرة بين طرفيه، فأصبح البيت من ناحية التشبيه بيتاً كذباً، ولو استبدل بحرف التشبيه حرف التوكيد لصدق البيت وارتفعت قيمته ارتفاعاً يجعله بمنجاة من أن يكون مثلا مضروباً في السخرية والاستهزاء الخ ...»

وأقول إن البيت - حتى بعد هذا التعديل المقترح - يظل تافهاً، بل غير صحيح من ناحية اللغة، وذلك لأنه يشترط في الخبر أن يفيد فائدة زائدة على المبتدإ، وفي ذلك يقول ابن مالك:

والخـــبر الجزء المتم الفائده كالله بر والأيادي شاهده

ولا معنى للخبر إن لم يكن كذلك. وما ورد فيه الخبر بلفظ المبتدإ لوحظت فيه مع ذلك فائدة زائدة على المبتدإ كما في قول القائل: أنا أبو النجم وشعري شعري. إذ عنى بقوله «شعري شعري» أن شعره الحاضر هو من جنس شعره المعهود للمخاطبين من قبل. وعلى تقدير كهذا حمل قوله صلى الله عليه وسلم: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسـوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه» في حديث (إنما الأعمال): «وليس في الخبر الوارد في قول القائل: «كأننا والماء... الخ.» فائدة زائدة على المبتدإ ولا هو مما يحتمل تقدير شيء من ذلك.

الثانية: ذكرت ما أورده الدكتور زكي في كتاب النثر الفني نقلا عن الباقلاني من تعريف الأخير للسجع بأنه: «ما يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع»، وتقريره أن ما ورد في القرآن على هيئة السجع لا يدخل تحت هذا التعريف، «لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى». وأردفت ذلك بذكر عبارة الباقلاني التي أكد بها احتجاجه لرأيه المتقدم، وهي:

«وفصل بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه، وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ. ومتى ارتبط المعنى بالسجع كانت إفادة السجع كأفادة غيره، ومتى ارتبط المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى»

ثم زعمت أن هـذه العبارة لا تستقيم مع رأي الباقلاني المتقدم، وأنه لابد أن يكون قد وقع فيها تداخل عند طبع الأصل أو عند النسخ استغلق به المعنى على القارىء مما لم يفطن إليه الدكتور «فدل بذلك على تقصيره في فحص الكلام وتقليبه أو على قصوره في الفهم والتفكير الخ ...»

والواقع أنه لا تداخل في العبارة ولا استغلاق في معناها الواضح كل الوضوح، فهي تعني أن الكلام الوارد على هيئة السجع على نوعين: أحدهما كلام منتظم في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود فيه. فلا مناص من إيراد اللفظ الوارد على هيئة السجع، لأنه لابد منه لإفادة هذا المعنى، ولا يمكن أن يحل غيره محله في إفادته، ويصبح المعنى في هذه الحالة مرتبطا بذلك كارتباط معاني غيره من الألفاظ التي لم ترد على هيئة السجع بهذه الألفاظ. فتكون إفادته كأفادتها، أي أنه لا يكون مستجلبا لغرض آخر غير إفادة المعنى. النوع الثاني كلام يكون معناه منتظما بغير اللفظ الوارد فيه على هيئة السجع، فلا يكون هذا المعنى مرتبطا بهذا اللفظ، لأنه يمكن الاستعاضة عنه بلفظ آخر يفيد هذا المعنى أيضاً، وعلى ذلك يكون الإتيان في هـذه الحالة بخصوص اللفظ الوارد على هيئة السجع قد قصـد به إلى

غرض آخر غير إفادة المعنى ، ألا وهو تجنيس الـكلام . والنوع الثـانى هو السجع الحقيقى ، والنوع الأول — وهو وحده الوارد فى القرآن على ما يرى الباقلانى — ليس بسجع حقيقى وإن جاء على هيئته

ومعنى العبارة على الوجه المتقدم هو المستقيم تماماً مع رأى الباقلانى السابق فى تعريف النوعين . فالأول ـ وهو ما ورد على هيئة السجع وليس بسجع حقيقى ـ يتبع اللفظ فيه المعنى ، لأنه إنما أتى باللفظ للتعبير عن ذلك المعنى المقصود بعد التثبت من إفادته التامة له . أما الثانى ـ وهو السجع الحقيقى ـ فيتبع المعنى فيه اللفظ الذى لم يؤت به بخصوصه لإفادة المعنى وإنما لغرض آخر هو تجنيس الـكلام ، أفاد المعنى المقصود بتمامه أو لم يفد . ومن ثم استهجن التزام السجع لأنه إنما يكون على حساب المعنى

هـذا وتستطيع بعد الإيضاح المتقدم أن تتبين بأدنى تأمل ما فى عبارتك التى أوردتها تصحيحاً لعبارة الباقلانى من مناقضة لحقيقة رأيه ومجانبة للصواب

وأعود فأكرر إعجابى بمجهودك الموفق فى نقـد كتاب النثر الفنى .

ابراهيم زكى الدين بدوى
الأستاذ بدار العلوم العليا ببغداد سابقاً

حول « الحب عند المتنبى »[1]

تساءل الأستاذ حسن الأمين : هل أحب المتنبى وهل أحس بلواعج الغرام ؟

وأراد فى جوابه أن يقول ، إنه لم يحب ، ولم يحس بلواعج الغرام ، واستشهد بشىء من شـعر المتنبى . وأريد أن أقول إن حب المتنبى يكاد يـكون لغزاً مستعصياً على الحل . ولست الآن بصدد إثباته أو نفيه ، غير أنى أريد أن أستأذن الأسـتاذ حسن الأمين فى ألا أوافقه فى أن ما استشهد به من شعر المتنبى يؤدى إلى النتيجة التى وصل إليها . بل فى بعض ما يدل على خلاف رأى الأستاذ . وها كم البيان

١ — فهم الأستاذ من قول المتنبى :

تحملوا حملتـكم كل ناجيـة فـكل بين على (اليوم) مؤتمن

فهم أنه (لا التهديد بالرحيل ، ولا الوعيد بالهجر استطاع أن يلين قلبه ويميل به إلى الهوى)

وكلة اليوم فى البيت التى وضعتها بين قوسين تدل بوضوح على أن المتنبى كان يحب ، وأنه يريد بإصرار وقوة أن يتوب من هذا الحب . فيقول . انتهى عهد الحب واليوم أصبح البين مؤتمنا على لا يؤثر فىّ سقماً ولا هما

٢ — وإن قال المتنبى (محب كنى بالبيض الخ) إلا أن قوله :

عدمت فؤاداً لم تبت فيه (فضلة) لغير الثنايا الغر والحـدق النجل

يدل على أنه يريد أن لا يكون قلبه قاصراً على حب النساء ، بل يجب أن يكون فيه (فضله) لغير حب النساء . فظاهر من هذا أن المقام الأول هو لحبهن ، والفضلة لغيرهن

٣ — قول المتنبى (وما العشق إلا غرة وطماعه) وقوله : (ممـا أضرّ بأهل العشق أنهم) ، وأمثاله ، لا يدل على أنه غير عاشق . بل هو أقرب إلى أن يدل على أنه عاشق برح به العشق وكوى كبده ، وذاق حلوه ومره ، ولـكنه رجل غلب عليه العقل وقوة الإرادة ، فهو يريد أن يداوى نفسه من عشقه بمثل هذه الأقوال ، وكثير ممن جربوا الحب وخابوا فيه أو لم يصلوا إلى نتيجة رجعوا على أنفسهم باللوم وعلى الحب بالتنقيص

٤ — وأما الأبيات التى ادعى فيها العشق ؛ فأنا أفرض مع الأستاذ أنهـا لا تدل على العشق ، كما يقول المتنبى نفسه (أكل فصيح قال شعراً متيم ؟) إلا أننى لا أستطيع أن أمر بأشعاره المشتملة على العاطفة الصحيحة من مثل قوله : (ما لاح برق أو ترنم طائر) إلى آخر ما ذكره الأستاذ فى هذا الصدد . أقول لا أستطيع أن أمر بهذا ، دون أن أشعر بأن المتنبى كان محباً صادقاً

٥ — الحب عاطفة إنسانية أصيلة لا يحرمها إلا من مسخ قلبه ، ولا يكون المتنبى — وهو من هو — كذلك ، فهذا وحده كاف للتدليل على أن المتنبى أحب ، وأنه أحس بلواعج الوجد ، وتباريح الغرام . والآن آن أن أقول إن اللغز فى حب المتنبى ، ليس هو الحب نفسه ، ولـكن من هو الشخص الذى أحبه المتنبى . وقد أجاب عن ذلك الأستاذ محمود محمد شاكر . ببحث فيه مجال للبحث .

(اللد — فلسطين) داود محمد الله

(١) العدد ٨١٠ من « الرسالة »